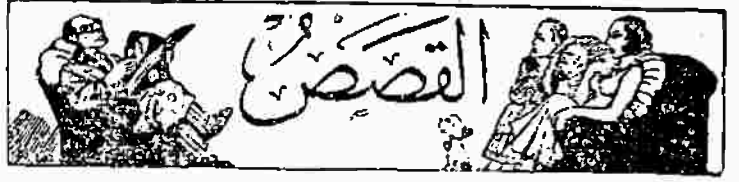


وكان أول ما فعله ورثة التاجر أن جردوا « إيجور » من ثيابه الحريرية وطردوه من المنزل . ولقد كانت الموت مقدوراً عليه في الطريق لولا أن رجلاً آخرين أخذوه من الطريق فأرسلوه إلى الإصلاحية .



## التعسس . . . !

أنقصه روسية

الأستاذ عبد اللطيف النشار

لست أعرف لماذا يمتد كثير من الناس أن المقادير تسمى بحظوظ الملوك والأبطال لا بالرجال العاديين ، وأن الرجال العاديين لا شأن للأقدار بهم كأنها لا تلاحظهم

لم يكن بطل هذه القصة من الملوك ولا الأبطال ، ولكن الأقدار لم تكن في عناده أقل حرصاً على الانتصار منها في عناد « أوديب » الملك ، حتى لقد بطن المرء أنها تركت كل مشاغلها وتفرغت « لإيجور شيمو دانوف » مدة الثلاثين عاماً التي قصتها في حرب معه .

ولد « إيجور » لأبوين غير معروفين لأنه لقيط . وكان مولد في قرية من قرى سيبيريا . وترك عند باب تاجر من أغنياء التجار اسمه « إيجور » ومن ثم أطلق عليه هذا الاسم ، وكان في الأعوام الأولى من حياته سعيداً تهيأ له من أسباب الرفاهية مالا يتبهاً أوفر منه لابن أمير .

وكان التاجر الغني وزوجه يقصران عنايتها عليه حتى استشارا بذلك حقد الأقارب وحدهم ، فألبسوا الحرائر وأطعموا النهي ونادوا به بأحب الأسماء ، وامتلا الطفل والتف عوده ، ولكن بقيت فيه نسة بسبب الزيادة في الطعام . وهكذا ظل طول عمره ممتزج اليقظة بشيء من الناس

وكان شعره أصفر ناعماً وقوامه ممتلئاً قصيراً . ولكن سمته ما زالت ثقل كلما كبر حتى صار هزاله محزناً في أخريات أيامه

لما بلغ السابعة من العمر مات اللذان تبنياه موتاً شديداً إذ تحطمت بهما عربة القطار ، ولم يشك أحد في أنه انهما وكانت هذه النكبة أول حلقة في سلسلة أحزانه

ولم يكن الطفل مذنباً ولكنه لم يكن هناك مكان يؤويه غير هذا المكان ، وهكذا كان أمر المقادير . ولقد قبل الطفل هذا الانتقال من السعادة الكاملة إلى الشقاء الكامل بنفس وطها على المذلة ، وهناك عرف الضرب كما عرف الجوع ، وسعى لصا فلم يغضب لشيء من ذلك ولم يتمرد ، بل بدأ يستشعر الحب لهذا المكان ويخلص بقلبه لأولى الأمر فيه . ونسى سعادته الماضية كل النسيان فلم يعد يتألم من حالته الجديدة حتى ولا في معرض الذكرى ولعل المقادير رأت في هذا السلوان شيئاً من السعادة فأنكرته عليه . وذلك أن النار شبت في الإصلاحية ذات ليلة من ليالي الشتاء فاحترقت المديرة وأبناؤها الثلاثة ونجا « إيجور » بعد أن تعرض للموت . وكان حاضراً في وقت إطفاء الحريق رجل من رعاة الغنم فأصر على يأخذه معه لأن البناء أصبح غير صالح للسكنى وقال إيجور لراعي الغنم وهو ذاهب معه : « بلنهم سيجددون بناء « الإصلاحية ؟ » وكان يقول ذلك وهو يبكي فأجابه الراعي لأتحف فان بناها سيعاد »

وأخذه إلى مدينة « سمارا » ولم يلاحظ الدافع الذي حدا بالطفل إلى القاء هذا السؤال . ولقد كان الدافع في الحقيقة هو عزمه على العودة بعد تجديد البناء . وهذا عمل لم يعمله انسان من قبل ، بل المهود ان كثيرين قد فروا من الإصلاحية ولم يتطوع أحد بالذهاب إليها . ولكن هذا العزم يدل على مزاجه الخاص الذي ساعده على احتمال ما أصابه من الحوادث . ولقد كان الطفل بفريرته عدواً للتمرد فأنكر على نفسه الفرار من الراعي ليذهب إلى سجن الأطفال ، ولكنه راجع نفسه في ذلك بأن ذهابه إلى السجن كان بدافع آخر هو الاستسلام للقدر الذي قضى عليه بأن يعيش في السجن

وفر الطفل من سمارا ثلاث مرات عاد فيها إلى سيبيريا . ولكنه ضبط مرتين وضرب ضرباً مبرحاً ، وبجاء في المرة الثالثة ، ولكنه مثل الطريق في مجاهل سيبيريا . وعلى الرغم من ذلك فإن الأخطار والمتاعب لم تغفل عنه فقد كان اللب يطارده في الغابة ، وقطاع الطرق يهاجمونه في الطريق ، والأشرار يمتدون عليه في

وأخيراً وصل إلى نابولي فأخذ يبيع بها السلع متجولاً . ومن هناك سافر إلى سويسرا وكانت لفته قد أصبحت مزيجاً من الروسية والعربية والإيطالية . وألف هذا النوع من الحياة وأمله القدر فصار لا يتعرض لأخطار جديدة وأيسر وبدأ اليسار عليه .

ولكنه لم يكن قد تعود هذه الحالة فتأقت نفسه إلى المخاطر ليتعرض لصدمات الأقدار ، فبدأ في نفسه نزوع وحزين إلى ماضيه المستهدف ، وإن شئت فقل إنه أصبح في حالة عقلية قلقة بسبب الراحة التي لم يستدأ . وبالرغم من مقاومته نفسه فقد عجز عن كبح عزمه على العودة إلى مجاهل أفريقيا حيث تلفحه الشمس المحرقة ويتعرض لأذى الزنوج والحوانات المفترسة

وسافر من مرسيليا على ظهر سفينة إلى الجزائر ففرقت السفينة على مسافة قليلة من الشاطئ الفرنسي فأعيد إلى باريس . ولكن ما الذي يفعله البارسيون بمخلوق تمس كهذا ... ؟

وضمونه في معرض وكتبوا على قصصه « مخلوق تمس » وصار الأغنياء والأطباء والفكرون يذهبون ليسمعوا منه قصته ويروا شكل جمجمته الصغيرة وعينه انضيتين ليصلوا إلى تعليل لتعاسته . ولكن كان ذاك على غير طائل

واستفاد إيجور من هذا العرض مالا كثيراً فعزم على استئناف العمل وعاد يعمل ويقتات . ولكن القدر أبى عليه أن يستريح فتشبث بذهنه فكرة لم يستطع إلا تحقيقها وهي أن يعود إلى سيريا فيبحث عن أمه المجهولة ، فعاد ، ولما وصل إلى روسيا كانت الثورة قد نشبت فجردته من أمواله عصابات اللصوص وألته في خندق . وأبى عليه حظ أنه يموت فيستريح . ومن أجل ذلك نجى بأعجوبة واستأنف تجواله ، ولما وصل إلى القوزاق اشتغل كاتباً وكادت الراحة تعرف طريقها إليه ولكن التفكير في أمه لم يتركه . ولذلك سافر إلى سيريا

ولما وصل إلى البلدة التي ولد فيها كان قد بلغ الثلاثين من العمر ، وفي يوم وصوله وكان جواز السفر الذي ابتاعه من موسكو قد باعه إياه رجل اتضح أنه مجرم سياسي محكوم عليه بالإعدام — في يوم وصوله وقع هذا الجواز في يد الحكومة فأعدمت « إيجور » بغير تحقيق ... اعتقاداً منها بأنه ذلك المجرم السياسي

وهكذا شق إيجور فم يكمه صديق أو قريب ولم يذكره ذاكر ، وهل يذكر الناس من ضحايا الأقدار غير الأبطال والمثلك ؟

هــر اللطيف الشار

المدن . وكان إيجور يجوع أحياناً ليشترى « باقة » ويختبئ على ثيابه أن تمزق ولهذا كان يفر من طريق الأشرار . وكان شريفاً على الرغم من إقدامه على سرقة الثياب مادام في حاجة إليها ولا يملك ثمنها ، ولم يكن يعد هذا ذنباً .

ولما اعتاد هذه الحالة انطقت نار شوقه إلى الإصلاحية وظل ينتقل من مدينة إلى مدينة حتى إذا بلغ السابعة عشرة وجدناه في تفليس عاملاً في مصلحة التلغراف وكان مغتبطاً بهذه الوظيفة التي أهلها لحسن ملبسه وظل نظيف الثياب في الأعوام الثلاثة التي كان فيها مثالا لحسن الخلق والمعاملة . وشعر فيها بالسعادة التامة الماضية حتى كأنه قد نسها

ولما بلغ الحادية والعشرين صار من ذابه التفتي بأشودة غرامية فسمعتة فتاة ووهيته قلبها . ومن هذا العهد ظهر سوء الحظ مرة أخرى وكأنه كان محتفياً ليظهر فجأة بشر مرعب ، فلقد ماتت هذه الفتاة بالجدرى . وعلى الرغم من أن إيجور كان مطمئناً لكل هذه الحوادث فقد بدا أثر الحادث الأخير على وجهه فأقصد رواء وارتم عليه المم والألم . وفي خلال هذا العام التحق بالجندية وكان يكره البحر وأسفاره ولكنه عين في فرقة البحريين في الأسطول واضطر إلى السفر في البلطيق فأصيب بمرض من أمراض البحر ، وبدلاً من أن يعطف عليه الجنود لمرضه صاروا يضحكون منه . وانقضى عامان كانت السفينة في خلالها راسية على بعض شواطئ أفريقيا ، وكان أهل هذه الجهة من السودانيين الذين لا يعرف إيجور شيئاً من لغتهم ، ولم يكن معه مال ليبش معهم ولكن هكذا شاء القدر أن يهرب من السفينة ويشرد في تلك المجهول

ولم يزل يمشي حتى وصل بعد ثمانية عشر شهراً إلى القاهرة فتجددت له السعادة ، لأن القاهرة خير مكان يستطيع أن يعيش هادئاً فيه . وتزوج واشتغل صانعاً في أحد المعامل ، ولما كان قنوعاً فقد اقتصد جزءاً من المال وعزم في النهاية على فتح حانوت لصنع الأحذية ولكن قبل أن ينفذ هذا العزم اعتقل صاحب المصنع وصودرت أمواله بسبب إفلاسه . وكان إيجور قد حفظ أمواله عنده فصودرت أيضاً .

في ذلك اليوم هرب إيجور من القاهرة ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد ومن صناعة إلى أخرى كاليهودي النائم ، وركب البحر ثلاث مرات ففرقت السفن ونجا . وعلى الرغم من ذلك فقد ظل مطمئناً كأن الذي أصابه لس إلا حوادث عادية يتعرض لثلثها كل إنسان .